الدكتور كرنيليوس فان ديك

شكر السوريين له حيًّا

ذكرنا في الجزئين الماضيين خلاصة ما وقفنا عليهِ من ترجمة استاذنا الدكتور فان ديك وما علمناهُ من امرهِ مدة معاشرتنا لهُ وما لهُ من المآثر والآثار في سوريَّة وما حازهُ من علوّ المنزلة في نفوس السوريين وكيف انهم كانوا يسارعون إلى شكرهِ والاعتراف بفضلهِ عليهم وعلى آبائهم وابنائهم . الَّا ان هذا الشكر الذي قام بهِ السوريون فرادى لمن قضى الايام والاعوام في بلادهم ونشر العلوم والآداب فيها حرَّك نفوس الامة كلها حينما صار لهُ خمسون عامًا في بلاد الشام . فقام جمهور من فضلاء بيروت ودعوا ابناء المشرق للاحتفال بمرور هذهِ الاعوام على ما جرت بهِ العادة في البلدان الاوربيَّة نقلاً عن الامة الاسرائيليَّة . فلبى طلبهم كثيرون من تلامذتهِ ومريديهِ واجتمع لديهم نحو خمسين الف غرش في برهة وجيزة وكان غرضهم ان ينشئوا لهُ تذكارًا ثابتًا يذكر السوريين بافضالهِ عليهم ويجب إلى ابنائهم الاقتداء بهِ ويحتفلوا بذلك احتفالاً عموميًّا باهرًا في مشهد مشهود لكنهم خافوا من معارضة الحكومة . ولا ندري أحقيقي خوفهم ام وهمي فعدلوا إلى ابسط السبل وهو تقديم المال لهُ عينًا . ويقيننا أنهُ وزَّعهُ على المساكين جريًا على عادتهِ . فقد طالما غمر الفقراء بماله ونائلهِ . الَّا ان الغاية المقصودة من ذلك التذكار حصلت على وجهٍ آخر وهو الاحتفال الباهر الذي احتفل بهِ السوريون حينئذٍ مما لم يكن لعظيم في بلادهم ولا لملك كبير . فما اسفرت الغزالة في اليوم الثاني من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٠ (وهو اليوم الذي دخل فيهِ بلاد الشام قبل ذلك بخمسين عامًا) حتى غصت دارهُ في رأس بيروت بوفود المهنئين على اختلاف النحل والملل وتقدَّم رؤساؤهم وهنَّأوهُ بالخطب البليغة والقصائد الحسان من ذلك خطبة تلاها حضرة الوجيه اسبر افندي شقير رئيس لجنة التذكار وكانت مكتوبة على رق الغزال وهي

"لما علم السوريون بلوغكم نهاية السنة الخمسين منذ حضوركم إلى سوريَّة وعرفوا انكم شغلتموها بخدمة الوطن رأوا مما توجبهُ خدمة الانسانيَّة اشعاركم بما في افئدتهم من عواطف الشكر على ما لكم من اليد البيضاء عندهم في كل هاتيك السنين ولم يفتهم انكم منذ وطئتم ارضهم نهجتم المنهج السوري حتى صرتم كاحد ابناء سوريَّة وشربتم حبها ورغبتم في نفعها

وجعلتم غاية حياتكم افادة سكانها . فألفتم كثيرًا من مفيدات الكتب على اختلاف صنوفها من ادبية وعلمية وطبية وسعيتم في تشييد صروح العلم ونوادي الخير وعلتم الفقراء والمرضى . فنشأ من مساعيكم واتعابكم عظيم الفوائد لشبان هذا القطر وقد صار كثيرون من تلامذتكم فيهِ كهولاً وشاركتم بعضهم في الشيخوخة . وهم جميعًا موقنون انهُ ما حملكم على ذلك سوى حب الانسانية بخلوص اثبتتهُ شواهد السنين . وعلى ما ذُكر اختاروا لجنة تنوب عنهم في التهنئة لكم بادراككم هذا اليوم الموافق ليوم دخولكم سوريَّة في سنة ١٨٤٠ . وفي التصريح بأطيب الثناء عليكم لما سبق بيانهُ من مناقبكم ومآثركم . وفي سؤال المشيب الكريم ان يطيل بقاءكم ويجعل سائر ايامكم زمن راحة وسلام . وفي تقديم هديَّة منهم على اختلاف الملل والمذاهب وهي وان تكن امرًا يسيرًا لا تقصر عن ان تكون آية ما في قلوبهم من خالص الشكر لجنابكم . وفي الختام نسألهُ تعالى ان لا يضيع لكم اجرًا وان يجزيكم خير الجزاء "

ومنها رسالة تلاها الوفد المرسل من قبل غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وسائر المشرق قال فيها

" الى جناب الفاضل الجليل العلاَّمة الفهامة الشهير الدكتور كرنيليوس فان ديك المحترم اطال الله بقاءهُ

وافتنا جرائدنا في هذه الثلاثة الاشهر تنبئنا ان الكثيرين من اهل الفضل والآداب وذوي الشهامة والشعائر العالية يهتمون و يستعدون لان يحتفلوا بعيد رفيع القدر جليل الذكر يذكرون بهِ يمن يوم قديم سالف الايام مرَّت عليهِ الخمسون من الاعوام يوم حللتم بكل انس هذا القطر السوري تعززون مكانة الفضل والعلم وترفعون منزلة صنع الجميل باهل اليؤس والشقاء و يكون لهم موسمًا سعيدًا يلبّون بهِ داعي الحقوق والوفاء ونداء الفضيلة والواجب بان يقوموا لديكم ايها الفاضل الوقور بشعائر معرفة جميلكم الواضح و يقابلوا مزيتكم الحسناء عليهم بالشكر العميق فكانت هذه الاهتمامات والاستعدادات الممدوحة المحمودة تروق لفؤادنا كثيرًا كلما تجدد لدينا حديثها ورأينا في الصحف انباءها اذ ان ما يسعى اليهِ اصحاب الشهامة هؤلاء النجباء هو جدير بمزيد الاعتبار وخليق بفائق الثناء احترامًا لمن هو موضوع سعيهم وتكرمةً لشأن اهل الفضل والمعروف . وقد لبثنا ننتظر الى اليوم وفود ذلك العيد الادبي لنظهر ايها الحبيب الفاضل ما يخالج فؤادنا من شعائر الاعتبار والولاء وما نحرزهُ لغيرتكم من الشكر والثناء

فنهديكم اولاً التهاني الخالصة على ما اولاكم الموفى من سامي الهبات وجليل العطايا

ونحمده على طول بقائكم السعيد الذي ارادهُ الله ونسيزيده اعواماً طوالاً لزيادة النفع والفائدة ونخاطب ثمت سائر المحتفلين بعيدكم المعتصمين بودكم الذاكرين لكم حسن الصنيع باهداء الثناء والتقريظ مكللين مساعيكم هذا بعطر الاعجاب والمديح

واذا نظرنا يا حضرة العلامة الناسع الشهرة في عالم المحامد والعرفان نرأى هؤلاء المحتفلين بتذكار الخمسين سنة من وجودكم في ارجائها المأنوسة نرى انكم منذ وفدتم اليها لم ينعس لكم طرف عن السعي والجد في سبيل المعارف . بل قد احييتم الليالي وانرتموها بسراج السهر في تحصيل لغتهم العربيَّة البليغة حتى صرتم فيها نعلاً للاستشهاد وثقة بصحة القول والمباني وهذه كتبكم الشهيرة المتعددة فيها تنطق لكم بعلو المزيَّة وفرط الاقتدار وقد جاءها كتابكم الاخير " النقش في الحجر " يؤكد ان ذكركم في هذا القطر ثابت مديحهُ كالنقش في الحجر . واذا نظرنا من جهة ثانية الى مواساتكم الفقراء ومعالجتكم اسقام البائسين الضعفاء نراكم من وحيدي رجال العصر ذوي النفوس الصالحة النقيَّة وهذه دار مرضى طائفتنا النعساء أليس ان يدكم البيضاء ما زالت توالي عليها المعروف وتلازمها بالاعتناء والاحسان حتى يصح بنا كلنا روحي ان نقول ان جميلكم هذا قد اوسعنا لهُ محالَّ منتنا وثنائنا ونحن نذكرهُ لكم بطلب الاجر والثواب من واهب الخير والبركات

فالحق ان عيدكم هذا هو عيد عمومي شامل البهجة متوفر اسباب الجذل لسائر معارفكم وخلانكم وتلامذتكم العديدين نسأل الله ان يحفظكم بعنايتهِ الساهرة وان يهبكم القوة للثبات في افعال الخير والجميل امين "

وفي اثناء الاحتفال بهذا العيد دعت عمدة مستشفى الروم الارثوذكس جمهوراً من وجهاء بيروت وادبائها وقام فيهم صديقنا الاستاذ نعمة افندي ثابت وخطب خطبة بليغة قال فيها

"لما كانت عقبات الحياة صعاباً كان لا يرقاها الاَّ ذوو الهمة القعساء ولا يتسنمها الاَّ ذوو الحكمة النجداء ولما كان هؤلاء العظام رجال الانسانيَّة حركتهم الشفقة ودفعهم الحنو وحثتهم عوامل الالفة لدفع اعباء الحياة عن كواهل اخوانهم في الانسانيَّة واشقائهم في المدنيَّة ليصلوا بهم الى اوج السعادة . ولذلك نرى عند نظرنا في اخبار الامم رجال العلم وابطال الصناعة يُعطون الالقاب الشريفة ويوصفون بفضلاء الامة والمحسنين الى الهيئة الاجتماعيَّة وتقام لهم الانصاب ويحتفل بهم في مراكز فضلهم اكراماً واجلالاً وايفاء لجزء من حقوقهم وتكثيراً لذوي الفضل وارباب النبل

ونحن قد اناخ علينا الدهر بكلكله واحنانا بثقله فأقعدنا في مكان قصيّ نستشرف دواعي الفلاح واسباب السعادة . والهمم قاصرة والطبائع فاترة والاذهان خامدة والشوق الى السعادة عظيم والتوق اليها جسيم لان الامة قديمة والعيش كان فيها رغيدًا والسعادة فيها سائدة . ولكن الانسانيَّة لا تعدم من نصير والفضيلة لا تحرم من ظهير فما عتمت ان اعدَّت لغوثها رجل العلم ومثال الفضل الفيلسوف الفاضل شيخ اطبائنا وعلمائنا وتاج ادبائنا ورحمائنا وسلك انتظامنا الدكتور كرنيليوس فان ديك الشهير من اضاء نور علمه امام الناس فرأوا اعماله الصالحة ومجدوا الآب السماوي . ان الانسانيَّة شاكرة فضلك لانك تجلي بادئها العظيم . ان الاحسان يفتخر بك لانك ملجأه المتين وركنه الجسيم فأي عمل يؤول لخير الانسانيَّة لم تعضده . واي فضل لم يكن لك فيه الشأن الارفع . واي حكمة عرفت في شخصك الكلال . واي عمل لم يرفع له نشاطك وثقوب ذهنك وحدة بصيرتك الاعلام الخافقة . واي عين لا ترى الان نشاط الشباب في شخصك الجليل كأن القوة رحمة بهذه الامة جلبتك بنشاطها وارسلتك بشبابها لتحي بك العلم وتعزز البرّ وتثمر الفضل . أليست مؤلفاتك مثالاً لصدق المقال ألم تضرب الامثال بشهرتها وكثرتها وغزارة مادتها وتباين مباحثها . ألا نراك تارةً تجوب الفلوات وتقطع الفيافي وتخرق الجبال وتمخر البحار وتستبطن الارض وتكبد السماء فترى السدام والشموس والسيارات والانوار وتجد اباك السماوي مظهر الحكمة في هذا النظام البديع

وطورًا تلج بنا الى دقائق المادة فتكشف لنا عن جواهرها المتباينة المرتبطة بالالفة العجيبة التي تشرك بينها على تباين الطباع واختلاف الاقدار وتفرق المبادىء . ذلك كله مقرون بسمو مبادئك وشرف غاياتك ان ارتباط الجواهر العمياء على تباين طباعها دليل على وجوب الارتباط المتين بين افراد الهيئة الانسانيَّة ولو اختلفت الجنسيَّة وضعفت العصبيَّة

وآونة تكشف لنا الجسم الانساني وتظهر فيه بدائع الصنعة وغرائب البنية وعجائب الارتباط بين كرياته المستقلة بالحياة بنفسها الخاضعة لقانون الجسم العام لكي يحيا بهذا الارتباط العظيم المقرون بالخضوع . كل ذلك مقرون بتعاليمك السامية بوجوب الائتلاف ليحيا جسم الامة بالخضوع إلى قانون الالفة العام

واحيانًا تميل بنا إلى مؤاساة الفقراء وتعزية المحزونين وغوث المظلومين وازالة آلام المصابين بالعلل الوبيلة والنسج الضئيلة عملاً بتعاليمك السامية وتتميمًا للقول الكريم كل من علم وعلّم يدعى عظيمًا في ملكوت السموات . واي شاهد ادل على الفضل وابين للنبل

واظهر للغاية من اقامتك بين ظهرانينا خمسين عاماً تبتدع الغرائب وتكتشف العجائب وترسل المعارف بيننا ارسال الرياح الغيث على الاراضي الصادية . فالعلم فينا يعترف لك بالابوة . والخيرُ والاحسان واللطف والشفقة والرحمة وحب الفقراء وازاحة اعباء الحياة بكلامك الجزل كلها تقرّ لك بالامومة فانت اب وام لكل عاطفة شريفة وانت مصدر لكل مثال سامٍ وغاية حميدة . فاذا رمنا ان نجد نموذجاً للعلم رجلاً قضى الاعوام الطوال بين المحابر والدفاتر ألا نراك خير مثال لعلماء سوريّة . واذا طلبنا مثالاً للعمل رجلاً قرن كل علم بعمل يليق بهِ وغاية تشرفهُ ألا نرى ذلك المثال الوحيد في اقنومكم الشريف . فلساني جدير بان يلقبك بفيلسوف العصر وعلامة الدهر وفريد النبل ووحيد الفضل . هذا البناء وهاتهِ المرضى شاهدة على متابعتك الفضل ومثابرتك على الخير لا تبغي اجر الناس ولا اطراءهم بل تعد كل ذلك من واجباتك نحو الانسانيّة . فالانسانيّة عموماً والطائفة الارثوذكسيّة خصوصاً ألّتي غمرتها بعوارفك واغرقتها في بحار فضائلك وفواضلك تعترف بفضلك وتعتبر عظيم قدرك وتجل مقامك وتحفظ اجلالك

وانتم يارجال الانسانيّة اوجه اليكم هذه الكليات الاخيرة فاعيروها آذاناً صاغية وقلوباً واعية . نظرتم في خلال الخمسين الماضية في شيخنا الفيلسوف الجليل رجل العلم والعمل وشخص الانسانيّة والفضيلة وكلكم تعلمون ان التعليم بالمثُل الحسيّة من ابين طرق التفهيم . والسيد المسيح كان يؤدي مقاصدهُ وتعاليمهُ إلى تلاميذهِ بالامثال لتنجلي لهم وترسخ في ضمائرهم فتشب في قلوبهم حميّة العمل بموجبها . فاي تعليم ادبي لم يقرنهُ هذا الفيلسوف بعمل يشرفهُ . اراد ان يعلمنا عمل الخير فاقام من مالهِ الخاص اول قاعة في هذا البناء الخيري فتلاهُ في هذا العمل المبرور اصحاب الحميّة مقتدين بهِ . اراد ان يعلمنا مؤاساة المرضى وتعزية المصابين فعين من اوقاتهِ قسماً مهماً يشغلهُ في تسليتهم وازالة ثقل امراضهم بكلام اشهى من السلسبيل والطف من النسيم . وكلكم افصح منا في تبيان فضلهِ وغزارة نبلهِ وشرف غايتهِ ونزاهة قصدهِ . اراد ان يعلمنا نشر المعارف بين الكبار فاشغل القسم الاوفر من العمر في تأليف الكتب الضخام ولا حاجة لي في تعدادها لانها اشهر من ان تذكر . ثم انبرى لبثّ محبة العلم في الصغار فألف لهم النقش في الحجر فنقش في افئدتهم اسمى المبادىء العليّة ألّتي لا تقوى على محوها كرور السنين ومرور الايام

فاتخذوا سادتي هذا الشيخ الجليل والفيلسوف النبيل خير مثال واقيموا لهُ الانصاب في قلوبكم لكي تهيج فينا العواطف السامية عند خمودها وتحرك عوامل العمل عند سكونها

ووطنوا النفس على الجد والمثابرة على العمل واعلموا ان السعادة الانسانية بنت الحق والفضيلة بنت العمل. فاطلبوا الحق في مباحثكم واعملوا بموجبه تنالوا السعادة والفضيلة اسمى غايات الانسانية واشرفها. فدم يا فريد العصر دعامة الحلم. وركن العلم ونصير الفضيلة. وظهير الانسانية "

فهذه بعض الشواهد على ما كان للدكتور فان ديك من المنزلة الرفيعة في نفوس السوريين وعلى اكرامهم له واعترافهم بفضله

ذكر السوريين له ميتاً

وعاش الدكتور فان ديك بعد ذلك نحو ستة اعوام قضاها في التطبيب والتأليف والترجمة والرصد الى ان وقعت الامطار الغزيرة في الخريف الماضي فجرفت جراثيم الحمى التيفويدية من بعض القرى المصابة بها وصبتها في قناة المياه الواردة الى بيروت فانتشرت الحمى التيفويدية فيها واصيب بها كثيرون وهو في حماتهم وقد طالما شفى المرضى منها فاخذت بالثار منهُ

شدَّت يداهُ على الادواء فانتقت على معاداتهِ والاخذ بالثارِ

وقضى بها رحمهُ الله صباح الثالث عشر من تموز (ت ٢) في الشهر الثالث من السنة الثامنة والسبعين من عمرهِ. وجاءنا نعيهُ بالتلغراف بعد وفاتهِ باعتين من الزمان فوقع علينا وقوع الصاعقة ووقفنا نحن وعيالنا حيارى من هول المصاب. ولما كان لا بدَّ من صدور المقطم يومئذٍ اخذنا القلم وكتبنا السطور التالية ونشرناها فيهِ وهي

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامرُ وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ

نعى الينا البرق هذا الصباح نعي رفات المعارف في بلاد الشام بكتبهِ ومدارسهِ وغارس أدواح الفضائل في النفوس بسيرتهِ ومواعظهِ. نصير العلم. نصير الحق. نصير الفضيلة. نصير الحرية. قدوة المجتهدين في نشر العلوم وبث الفضائل. مَنْ عُقِدَت القلوب على حبهِ واجمعت النفوس على تعظيم قدرهِ. نعاهُ الينا الاكبر العلامة النيلوف الدكتور كرنيليوس فان ديك

قدم بلاد الشام منذ ستة وخمسين عاماً فاحبَّ اهلها واختلط بهم وكبَّ على درس العربية فأخذها بحذافيرها وفاق في حفظ مفرداتها وامثالها اكبر ابنائها. ثم عكف على التعليم والتهذيب والتأليف والتطبيب فانشأ المدارس والمجامع ونشر العلوم وهذَّب الاخلاق وساعد المؤلفين والمترجمين وداوى الآلام والاسقام. ولم يضنَّ على احد بعلم ولا تمال بل بذل كل ما يمكن بذلهُ لنفع الغير عن خليقة في نفسهِ وغريزة في طبعهِ فافاد الاقارب والاباعد فوائد

بلا يحصى عددُها ولا تحاق جدّدُها ولا يقدرها قدرها الاَّ من قابل بين بلاد الشام الآن وما كانت عليهِ منذ خمسين عامًا

والزمان لا يخلو من النوابغ ولكنَّ النابغين في العلوم والفضائل الذين أُوتوا من الذكاء والحكمة والدراية والهمة حظًّا ينهضون بهِ ببلاد واسعة من حضيض الجهل ويسيرون بابنائها في سبيل العلم مثل فقيد الشام بل فقيد الشرق قليلٌ عددهم لا يولد منهم في الدهر واحد . ولو اسعد الله كل بلاد من بلدان المشرق برجل مثل الفقيد لعادت اليها شموس المعارف ورقي بنوها ذرى المعالي

اليوم تلبس بيروت ومدارسها ومطابعها اثواب الحداد عَلَى اول ممهد لنهضتها العلميَّة واعظم مشيد لاركانها الادبيَّة . اليوم تشعر نوادي العلم ومراصد الافلاك ان كوكبًا افل من سماء المعارف وبدرًا خسف عند تمامهِ . اليوم تستولي الكآبة على تلامذة الفقيد ومريديهِ في مصر والشام واقاصي الاقطار حيث بلغ المهاجرون السوريون وحيث تقرأُ كتبهُ وتدرَّس مؤلفاتهُ

على ان ذكر الفضلاء لا يموت ولو دفنوا في الثرى . وسيرتهم تخلدُ في النفوس ولو ادركهم البلى . ومن كان كالفقيد يبقى اسمهُ حيًّا ما دام للعلم اركان وللفضيلة اخدان . فادخل ايها الاستاذ الكريم والصديق الحميم المجاد مولاك الذي خدمتهُ بخدمة ابناء نوعك ومجَّدتهُ باظهار آلائهِ في ارضهِ وسمائهِ . عزَّى الله قرينتك وانجالك وسائر آلك ومحبيك وخفَّف عنا وعنهم مصابنا فيك

نَمْ سعيدًا يا مَنْ حييتَ مجيدًا بجميلٍ قدَّمتَ بين يديكا
أنتَ أحسنتَ في الحياةِ الينا أحسنَ اللهُ في الممات اليكا

وطار نعيهُ الى سائر الجرائد العربيَّة في القطر السوري والمصري فابنتهُ احسن تأبين وعددت مناقبهُ الحسان . وقد وعد صديقنا الكريم الدكتور اسكندر يارودي محرّر مجلة الطبيب ان يجمع اقوال الجرائد كلها في كتاب خاص فاكتفينا بذلك عن نشرها هنا

ودفن عصر يوم وفاتهِ . وقد بعث الينا احد تلامذتهِ بوصف جنازتهِ ودفنهِ قال : " انتم تعلمون ما كان عليهِ استاذنا من الزهد والانقطاع والنفور عن كل ابهة وظهور وحب الافادة بلا طنطنة وعمل البر والخير في الخفاء كالينبوع يتضوَّع شذاهُ ويعطر ارجهُ الارجاء وهو مختبي الرأس منزوٍ عن العيون . فاراد ان يكون في مماتهِ كما كان في حياتهِ ولذلك اوصى قبل وفاتهِ ان يكون مشهد دفنهِ عَلَى غاية من البساطة والسكون وان يصلى عليهِ في منزلهِ بين

آلهِ واخصائهِ واما في المعبد حيث يجتمع الخلق الكثير من جميع العقائد والمذاهب فتتلى عَلَى نعشهِ آيات منتخبة من الكتاب العزيز باللغة العربيَّة وان لا يؤبنهُ مؤبن ولا يرثيهُ عَلَى قبرهِ راثٍ ولا يخطب عليهِ خطيب ولذلك اوصى ان يكون دفنهُ عند الغروب

ولما ذاع نعيهُ تقاطر الناس افواجًا الى منزلهِ في راس بيروت وكلهم آسف كاسف البال كانهُ قد فقد عزيزًا من ذوي قربائهِ . ولما دنت ساعة السير بنعشهِ تلا حضرة القس الفاضل الدكتور هنري جسب الآيات الَّتي عينها الفقيد من المزامير والانجيل ثم صلى عليهِ بالانكليزيَّة . وتقدم الستة المعينون لحمل تابوتهِ وهم حضرات الافاضل الدكتور بوست والدكتور بركستوك والسيد محمد افندي عرداتي ومراد افندي البارودي والاستاذ وست والمستر سمث فحملوا تابوتهُ من منزلهِ الى مركبة الموتى وكان التابوت مغطًّى باكاليل الازهار والرياحين الَّتي ارسلتها المدارس والجمعيَّات الوطنيَّة والاجنبيَّة ووجوه بيروت واعيانها وكانت المركبة مغشاة بالسواد وسجوف الحداد ومشى امام جنازتهِ فرقة من الجندرمه والبوليس . وبسقجيَّة القناصل ومشى وراءها خلق كثير من جميع الملل والنحل وجماعة من قناصل الدول ووقف الناس صفوفًا في كل طريق تسير بها جنازتهُ يرحمون عليهِ ويذكرون فضلهُ عَلَى وطنهم واشتدَّ ازدحام الالوف لما دنت الجنازة من الكنيسة الانجيليَّة حتى لم يستطع حاملو تابوتهِ ان يسيروا بهِ اليها الاَّ بعد العناء . ولما دخل التابوت الكنيسة كانت غاصة بالناس عَلَى رحبها فتلا جناب الدكتور هنري جسب الآيات الكريمة بالعربيَّة وقال ان الفقيد اوصى عند احتضارهِ الاَّ يتلى عليهِ رثاء ولا تأبين . ثم حملوهُ إِلَى المقبرة الاميركيَّة المجاورة للكنيسة حيث واروهُ التراب والشمس قد توارت بالحجاب ورجع العلماء والخطباء والادباء والشعراء الذين اجتمعوا حول قبرهِ يعددون مناقبهُ في الفؤاد ولو لم يشأ رحمهُ الله ان يعدّدوها على رؤوس الاشهاد وعاد الناس إِلَى منازلهم وكلهم خاشعون معترفون بان فقدهُ مصاب عميم وانهُ وان كان قد شبع من الايام فقد فارقنا قبل ان نبلغ في المعارف سن الفطام

واني اكتب لكم وصف ذلك المشهد واسلك عن وصف الاسى في نفوس اخصائهِ وتلامذتهِ فذلك مما لا يكاشف بهِ قلم ولا يصحُّ ان تتطلع اليهِ عيون الجرائد بل يغني عن الاطالة فيهِ التفاتكم إِلَى ما تجدونهُ في نفوسكم من الالم الذي يشقُّ الصدور والحزن الذي يفطر المرائر لا على انتقال نفس طاهرة زكيَّة من دار الفناء والشقاء إِلَى نعيم الاتحاد وديار البقاء بل على فقدنا بفقدهِ رافة الاب الشفوق وحب الصديق الصدوق واخلاص الاخ النصوح وارشاد الحكيم الخبير وعلم الاستاذ الكبير وخدمة الوطني الامين وفضل العظيم بين

الفضلاء وقدوة التقي الصالح بين العباد

عزّى الله قلوب ارملتهِ وذويهِ جميعاً واخصُّ بالذكر نجليهِ العالمين الفاضلين الاستاذ ادورد فان ديك والدكتور وليم فان ديك وعزّى قلوبنا وادام ذكرهُ حيًّا في نفوسنا وجعل فضائلهُ ناميةً في اخلاقنا وجعل الينا اقتفاء آثارهِ في سيرتنا بين اقراننا والاقتداء بهِ في خدمتنا لاخواننا واوطاننا وحوَّل جهادنا في حزننا عليهِ جهاداً في توسيع سبل التعليم والتربية والتهذيب والفضائل والتقى والآداب ٱلَّتي طرقها امامنا وتركها بعدهُ ميراثًا لنا

الوقاية من السل الرئوي

بقلم صاحب السعادة الدكتور حسن باشا محمود

السل الرئوي مرض عفن معدٍ ينتهي بالموت غالبًا ويتصف بسعال واضلال بطيء في الرئتين ناتج من وجود ميكروب السل فيهما . وهو داء معروف من قديم الزمان قبل ان يكتشف الدكتور كوخ ميكروبهُ ولم يتصل احد من الاطبَّاء إلَى ايجاد دواء شافٍ لهُ . وغاية الامر انهم اتصلوا بعد الجهد الجهيد إلَى تلطيف اعراضهِ ومضاعفاتهِ فاذا اصيب شخص بهِ لم يبرأ منهُ وقد يَعدي بهِ غيرهُ

وهو يصيب الغنيَّ والفقير والكبير والصغير ولا يرحم احدًا . وقد اقتصرنا هنا عَلَى ذكر الوسائط ٱلَّتي نقي منهُ لاننا رأيناها احسن وأولى من البحث عن علاج لهُ بعد الاصابة بهِ . فعسى ان ينتبه القرَّاء عمومًا إلَى هذه الوسائط ويعملوا بها ليامنوا شرَّهُ

ثبت الآن ان سبب السل دخول ميكروبهِ في الجسم السليم فمتى وجد هٰذا الميكروب مقرًّا لهُ خصيبًا نما فيهِ وتوالد وتغذَّى من العضو الذي يقيم فيهِ حتى يتلفهُ كما تفعل دودة القطن بشجرتهِ

وقد تلد المرأة المصابة بالسل ولدًا مصابًا بهِ او قد يصاب الطفل وقت ولادتهِ فقد شوهد طفل ظهرت فيهِ علامات السل الحقيقيَّة بعد ولادتهِ باسبوع لكن ذلك نادر . ولا يظهر السل في الاطفال الاَّ اذا كانوا ضعفاء البنية من امراض اخرى طرأت عليهم نوعيَّة كانت او غير نوعيَّة او من سوء التغذية او قلتها . اما اذا كانوا اقوياء البنية او متمتعين بالشروط الصحيَّة فان ميكروب السل يتبدَّد حالاً ويتلاشى